من شؤون المسلمين والعالم

انقلاب عسكري آخر في تركيا

لو أنّ القضية قضية تجارب ، فهل يحتاج المسؤولون السياسيون والعسكريون في تركيا إلى مزيـــد علـــى بـــضع وخمسين سنة لتجربة العلمانية والتبعية للغرب ؟

لو أنّ القضية قضية منطق سياسي ، فهل يوجد أبلغ من الأدلّة التي أعطتها حياة تركيا خلال عشرات السنين على فشل الاتجاه السياسي الحاكم بمختلف ألوانه الحزبية ، والعسكرية الظاهرة والمستترة ؟

لو أنّ القضية قضية مصلحة وطن وشعب .. فأين المصلحة في الإصرار العنيد على الاستمرار في نفس السبل التي أدّت إلى انهيار الاقتصاد انهياراً لا يكاد يوجد له مثيل ، وإلى انتشار الإرهاب المسلّح انتشاراً يثير الذعر في كلّ حـــيّ وبيت ، وإلى ضعف قوة الجيش العسكرية نحو الخارج ضعفاً لا يوازيه إلاّ استمرار قدرته على التحكّم في الداخل ؟

لقد ظهر مصطفى كمال أتاتورك قبل بضعة وخمسين عاماً ، ومعنى اللقب : أبو الأتراك ، وكان في واقع ما صنعه ابن الغرب أمّاً وأباً ، وروحاً وفكرا .. ومنذ ذلك الحين وحكام تركيا من العسكريين وراء الستار حيناً وفي الواجهة حيناً آخر ، ومن السياسيين على خشبة المسرح يتبدّل عليها نفس الممثلين مرّة كلّ بضعة أعوام أو بضعة شـــهور .. جميعهم يتشبّثون بذيل الغرب ، ويحاولون بكلّ سبيل جرّ أبناء الشعب المسلم من الرقاب إلى حياة الغرب ، بمظاهرها الفاحشة أخلاقاً وسلوكاً ، ومضمونها الفاسد عقيدةً وفكرا .. ويعجزون في نفس الوقت عن تثبيت نظـــام الغـــرب المستورد في تركيا المسلمة ، وهو وحده الذي يحمي مدنيّة الغرب من الانهيار المؤكّد آجلاً أو عاجلا ..

بضعٌ وعشرون قاعدة جوية ومحطة رادار أرضية تابعة لأمريكا بمنشآتها وأشخاصها وإدارتها .. لم تمنع أمريكا من حظر السلاح على تركيا يوم تجرّأت على خطوة تحريرية في قبرص لا تنسجم مع مخططات الغرب للمنطقة ..

بضع وعشرون سنة من العضوية في حلف شمال الأطلسي جرّت تركيا إلى ترسيخ الانفصام النكد بينـــها وبـــين البلدان الإسلاميّة ، وقدّمت تركيا خلالها أجلّ الخدمات لحلف شمال الأطلسي في سنوات حربه الباردة مـــع حلـــف وارسو وفي سنوات انفراجه المحلّي في أوروبا .. ولم تسفر عن موقف تأييد دولة واحدة من دول الحلف الغربيّ لتركيا في نزاعها المرير مع اليونان النصرانية على ثروات مغتصبة في بحر إيجه .. فضلاً عن الأراضي الإسلاميّة المنـــسية الـــتي سيطرت عليها اليونان في غمار الحرب العالمية ..

تبعية اقتصادية للغرب عامّة وللسوق الأوروبية المشتركة خاصة ، بلغت درجة التسوّل ، وجعلت مئات الألـــوف

من أبناء تركيا المسلمين آلات إنتاج في الغرب ، وجعلت أراضي تركيا سوق تصريف مفتوحـــة لـــسائر منتجـــات الغرب ، و لم تبلغ تركيا بذلك كلّه الدرجة التي تجعل الغرب يتقدّم إلى دعمها اقتصادياً بمعشار ما يفعل مع اليونـــان المجاورة أو جنوب إفريقيا النائية ..

فإلى متى ؟ ؟ ..

إنّنا لا نرى مشكلة تركيا في تخلّي الغرب عنها ، وإنّما في سلوك حكام تركيا سبيل التابع الذليل الذي يستـــسهل سيّده التخلّي عنه متى شاء ، وتعنيفه متى شاء ، وإبقاءه ضعيفاً سهل القياد كما يشاء ..

والانقلاب العسكري الأخير في تركيا بقادته ذوي الصلات الوثيقة إلى أقصى الدرجات مع أمريكا من قبل صناعة الانقلاب ، وبإعلانه منذ اللحظة الأولى العزم على الاستمرار في توجيه البلاد تحت لواء حلـــف شمـــال الأطلـــسي ، وبانحناءته المخزية أمام قبر مصطفى كمال بدلاً من السجود لله عزَّ وجلّ .. هذا الانقلاب ليس مجرّد خطوة جديدة في نفس الطريق ، طريق التبعية الخارجية والعلمانية الداخلية ، بل هو خطوة كبرى على هذا الطريـــق ، إذا كـــان لهـــا سبب ، فأكبر أسبابها الحقيقية أنّها تكمل جوانب الهجمة الغربية الجديدة لترسيخ النفوذ القائم وإضافة نفوذ جديد في مجموع المنطقة الإسلاميّة ، ممّا ظهرت بوادره في أعقاب سقوط حكم الشاه في إيران .. ولا يزال على طريق بلـــوغ ذروة جديدة للسيطرة الغربية ضمن خريطة اقتسام مناطق النفوذ في أرضنا ..

ومبرّرات الانقلاب الظاهرة للعيان ، من إرهاب مسلّح فتّاك ، وانهيار اقتصادي مدمّر ، وضياع سياسي رهيب ، وأزمة اجتماعية عميقة .. لا تعني أنّ هذا الانقلاب سيزيل الإرهاب وينعش الاقتصاد ويوجد الاســـتقرار الـــسياسي ويحلّ الأزمة الاجتماعية .. فالانقلابان العسكريان الماضيان فشلا في ذلك وأسفرا عن نتائج هي هي ما يقـــول هـــذا الانقلاب بالعمل للتخلّص منه .. والفشل الماضي كالفشل المتوقع لهذا الانقلاب .. منشؤه واحد : أن العسكريين – كالسياسيين– يحاولون معالجة الأمراض بمزيد من حقن الجراثيم الفتّاكة التي سبّبتها ..

إنّ في تركيا طاقة بشرية ضخمة ، ولها موقع جغرافي استراتيجي ممتاز ، وعندها ثروات أرضية كبيرة ، وأبناؤهـــا من أشدّ أبناء المسلمين استعداداً للتفاني في العمل والعطاء .. ولكنّ توجيه البلاد وأهلها توجيهاً يلوي الأعناق صوب الغرب والإسلامُ الراسخ في الأرض والشعب يريدها أن ترتفع إلى السماء استعلاء على الغرب والشرق .. هذا التوجيه هو المسؤول في الماضي عمّا شهدته تركيا من انهيار على كلّ صعيد ، وهو المسؤول في الحاضر عمّا تشهده تركيا من انهيار على كلّ صعيد .. ولئن ساهم هذا الانقلاب العسكري في شيء (إيجابي) ، فلا يتوقع له أن يساهم إلاّ في تفجير ثورة الشعب بعد الكبت الطويل والحرمان المرير ، وعودته إلى إسلامه بعد الغربة التي يحاول حكامه فرضها ويفشلون مرّة بعد أخرى .. ولن يفتقد مستقبل تركيا بإذن الله رجالاً كالرجال الذين صنعوا تاريخهـــا ، بعقيـــدة لا تعـــرف المساومة ، وجهاد من أجل الإسلام لا ينطفئ مشعله .. وقد يبدو هذا اليوم في أعين الذين غرّتهم الـــدنيا وباطلـــها بعيداً ، ولكنّه بعون الله يوم قريب .. قادم لا محالة ، وآنذاك يفرح المؤمنون بنصر الله .